

الخطبة الإذاعية (18) : خ 1 - التواضع ، خ 2 - تقسيم غنائم حنين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-09-1990

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاح الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، يا رب كفانا فخراً أن تكون لنا رباً، وكفانا عزّاً أن نكون لك عبيداً، يا رب أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، علمنا من علمك المخزون، واحفظنا بسر اسمك الموصون، حققنا بحقائق أهل القرب، واسلك بنا مسالك أهل الحب، أخرجا من ذل معصيتك إلى عز طاعتكم.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرع كل ملهوف، فحاش أن نفتقر في غناك وأن نظل في هداك، وأن نذل في عزك، وأن نظام في سلطانك . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، وصف نفسه فقال : المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مرکبى، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحى، والصبر ردائى، والرضا غنيمتى، والزهد حرفي، والبيفين قوتى والصدق شفيعى، والطاعة حسبي، والجهاد خلقى، وجعلت قرة عيني في الصلاة.

اللهم صل وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .
عباد الله، أوصيكم بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

الأخلاق في الإسلام:

1 - الإسلام يدعو إلى البناء الأخلاقي:

موضوع هذه الخطبة الدينية هو خلق التواضع، انطلاقاً من أن هناك تلازمًا ضروريًا بين التدين الصحيح والخلق القويم، حدد النبي صلى الله عليه وسلم، حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته، فقال فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إنما بعثت لأتّم صالح الأخلاق))

[أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة]

فالهدف الأول لدعوته هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد والمجتمع، لأنّه ثمن سعادة الدنيا والآخرة،
والوسيلة هي التعليم لا التعنيف، قال صلّى الله عليه وسلم:

((علموا ولا تعنقو، فإن المعلم خير من المُعنف))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عدي في الكامل]

2 - التلازم الضروري بين الدين الصحيح والخلق القويم:

ومالتبتّع لنصوص القرآن الكريم، وللسنة المطهرة الصحيحة يجد ذلك التلازم الضروري بين الدين
الصحيح والخلق القويم، قال تعالى:

(أرأيْتَ الْقَوِيَ يُكَدِّبُ بِالْدِينِ (١) فَذِلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ)

(سورة الماعون)

وقال تعالى:

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)

(سورة القصص: 50)

عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا حَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قَالَ:

((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[أحمد في المسند]

وقال أيضًا:

((الإيمان والحياء فرئاً جميـعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر))

[أخرجه الحاكم بسند صحيح عن ابن عمر]

3 - أحسن الناس إيمان أحسنهم خلقاً:

إذاً: فالإيمان أساس الفضائل ولجام الرذائل وقوام الصمائر، وقد بين النبي صلّى الله عليه وسلم أن
أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب عباد الله إلى
الله أحسنهم خلقاً، وأن من أقرب المؤمنين مجلساً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم يوم القيمة أحسنهم
خلقها، وأن من أعطى الإنسان خلق حسن، وأنه ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من
خلق حسن، وأن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل إن ال عبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم

درجات الآخرة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَتَنْدِرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مِنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٌ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أَمْتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاتٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَّمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخْذٌ مِنْ حَطَابِهِمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ))

[مسلم]

4 - التواضع فضيلة وسط بين طرفين:

وانطلاقاً من أن الحق وسط بين طرفين، وأن الفضيلة مكرمة بين رذيلتين، وأن الكمال في الوسط، وأن النقص في التطرف، فقد ينحرف التواضع إلى الذل، وقد يصبح غلافاً للكبر .. وفي الطرفين انحراف بالتواضع عن الموقع الصحيح الذي أراده الله، وتزييف لهذا ا لخلق الكريم الذي سنه المصطفى عليه صلوات الله وسلامه.

5 - الكبر خلقٌ سيئٌ:

فقد ينطوي المرء على نفس تتصف بأشد حالات الكبر، ولكنه يسلك مع بعض الناس سلوك المتواضع .
توصلاً بهذا السلوك إلى تحقيق مصالحة المادية، إنه موقف ذكي أساسه المصلحة الراجحة فالكبيرياء على العباد صفة رب العباد الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدي، والذي إذا ظهر قهر، وإذا تجلى طاشت لأنوار جلاله أباب الباب البشر.

(فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(سورة الجاثية)

6 - الذل لله عزة، وللعبد مذلة وهو ان:

ذلُّ العباد لربهم بالحق لا بالباطل، فهو الخالق العظيم، والرب الرحيم، والمسير الحكيم، بديع السماوات والأرض، ذو الفضل العظيم، رب العزة، ذو الجلال والإكرام، إليه يُرجع الأمر كلَّه.

(حَتَّى إِذَا أَخْدَتَ الْأَرْضَ رُخْرُقَهَا وَأَرَيْتَهَا وَظَنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لِيَّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ)

(سورة يونس)

فمصارير العباد رهن م شئتَه، وطوع إرادته، وهم إنما يكونون في أزكي أحوالهم ساعة، تعنو جباهم لربهم خاضعين له، مُنبين إليه عندئذ يعرفون حجمهم، ووضعهم فيلزمون حدهم، ولا يتتجاوزونه .
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
((مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالٌ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدُلٍ مِنْ كِبِيرٍ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ))

[رواه الإمام أحمد في مسنده]

فالمتكبر مبطل متطاول، يزعم لنفسه ما ليس لها، وال الكبر جملة من الخصال الخسيسة، في طل يعتنها جحد الحق، وتجاهل الواقع، وسوء العشرة، وتجاوز القدر، وتحقيق الفضل.

وقد يجهل الإنسان حقائق التوحيد، أو يعتقد اعتقدً فاسداً أساسه الشرك فيقتل نفسه ويقبل الدنية في دينه، ودنياه لواحد من أمررين ؛ إما خوف أن يصاب برزقه، أو أن يصاب بأجله، مع أن الله قطع سلطان البشر عن الآجال والأرزاق جميعاً، فليس لأحد إليهما سبيل، وبين لنا في كتابه العزيز أن البشر ولو اجتمعوا بأسرهم أذلُّ من أن يمنعوا شيئاً أعطاه الله، وأقلُّ من أن يعطوا شيئاً منعه الله، قال تعالى: (مَا يَقْتَحِمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(سورة فاطر)

(وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بَخْرٌ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

(سورة يونس)

هذا الذل ذل الشرك والخوف، ليس من التواضع في شيء.

7 - لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه:

وقد يقصِّر الإنسان في أداء واجبه، وقد يهمل عمله، أو يسيء إلى الناس في تعامله معهم، فيأتيه اللوم والتقرير، فيتطرمان ويستخذلي، وهذا الذل؛ ذل التقصير، والإهمال، والإساءة ليس من التواضع في شيء.

إذاً: ذلة العبد لعبد مثله باطلة لا ريب، فقد حرّم الإسلام على المسلم أن يهون أو يستذلّ، أو يستضعف، قال تعالى:

(وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران: 139)

وفي الحديث الشريف:

((من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا))

[الطبراني عن أبي ذر، وانظر مجمع الزوائد للبيهقي]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من أصرح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبة، نزلت به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغفي لينال مما في يده أخطط الله تعالى))

[الطبراني عن أنس، وانظر مجمع الزوائد للبيهقي]

وفي رواية:

((من جلس لغفي فتضعضع له ذهب ثلثا دينه))

[أخرجه الخطيب عن ابن مسعود، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، وقال رواه الطبراني في الصغير، ورواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي الدرداء]

إذاً: فلا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم:

((ابتغوا الحاجة بعزّة الأنفس، فإن الأمور تجري بالقادير))

[ابن عساكر عن عبد الله بن بسر]

وقد قيل: " احتاج إلى الرجل تكن أسيره، واستغف عنك نظيره، وأحسن إليه تكن أميره، وشرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغفاره عن الناس ".

8 - ينبغي للمؤمن من عزة بالحق:

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربه، هو عزة الإيمان، وعزّة الإيمان شيء وكبرياء الطغيان شيء آخر، إنها أنفة المؤمن أن يصغر لجهة أو أن يتضاعف في مكان، أو أن يكون عبداً لإنسان، إنها ترفع عن مغريات الأرض، ومزاعم الناس، وأباطيل الحياة، وفيها انخفاض إلى خدمة المسلمين، والتبسّط معهم، واحترام الحق الذي يجمعه بهم، إنها إثبات البيوت من أبوابها، وطلب العزّمة من أصدق سبلها، قال تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)

(سورة فاطر: 10)

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت
فإذا اعزرت بمن يموت فإن عزك ميت

والعزة حق يقابلها واجب، وليس يسوغ لامرئ أن يطالب بما له من حق حتى يؤدي ما عليه من واجب، فإذا كلفت بعمل فأدّيته على أصح وجوهه، عندئذ لا سبيل لأحد عليك، ولا يستطيع من فوقك ولا من دونك أن ينالك بلفظ جارح، ونستطيع أن تحفظ بعزة نفسك أمام كل الناس على اختلاف مراتبهم، حين تسد الثغرات التي ينفذ منها إليك اللوم والتقرير، إن ألاً أعدائك حينئذ يتهيأ لك، قال تعالى:

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَرَزِيَّاً وَلَا يَرْهَقُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلْلَةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَرَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلْلَةٌ مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَانُوا أَعْشَيْتُ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(سورة يونس)

وقد قال صلى الله عليه وسلم:

((إياك و ما يعتذر منه))

[ذكره الهندي في كنز العمال عن أنس]

التواضع:

1 - تواضع المؤمن في عزة وقوه:

وبعد الحديث عن الكبر وبطلانه، والذلة وأسبابها، والعزة ومقوماتها يطيب الحديث عن التواضع : إنه تواضع العزيز، لا تواضع الذليل، وإنه تواضع القوي، لا تواضع الضعيف، وإنه تواضع المنتصر لا تواضع المنهزم، وإنه تواضع الشريف، لا تواضع الخسيس، وإنه تواضع المؤمن الذي يؤمن أن الأمر كله بيد الله، لا تواضع المشرك الذي استحوذ الخوف على قلبه، وإنه تواضع المؤدي لواجبه لا تواضع المقصّر فيه، وإنه تواضع المتقن لعمله، لا تواضع المهمل له، وإنه تواضع المحسن، لا تواضع المسيء، ويدعم هذا التوجّه.

2 - تعريف التواضع لغة:

وذاك التعريف أن التواضع لغة مصدر قياسي لفعل تواضع، الذي على وزن تفاعل، حيث يفيد هذا الوزن إظهار ما ليس في الواقع، فالمتواضع ليس وضيعاً، كما أن المتمارض ليس مريضاً، والمتكبر ليس كبيراً، والمعاظم ليس عظيماً.

3 - حقيقة التواضع:

فالتواضع في حقيقته، رؤية صحيحة لعظمة خالق الأكون، وشعور واقعي بضعف الإنسان، وسلوك أصلأسه الانضباط والإحسان، فهو مظهر لعبودية الإنسان تجاه خالقه، ونتيجة لرؤيه افتقاره لفضله، وليس سلوكاً ذكياً، أساسه مصلحة راجحة، ولا ضعفاً نفسياً أساسه توهم باطل، أو رؤية ضبابية، وليس تقصيراً، أو إهمالاً، أو إساءة.

إنه فضيلة الفضائل، وهو بين دناءة الذلة وغطرسة الكبر،

((ليس كل مُصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة من تواضع لعظمتي...))

[من حديث فضي طوبى رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

والتواضع في أدق تعاريفه: خضوع العبد لسلطان الحق، والانقياد له، والدخول تحت مظلته، ومن تكبر عن الانقياد للحق، أدله الله، وصعّره وحرّر، ومن تكبر عن الانقياد للحق، ولو جاءه من صغير أو بعيد أو عدو فإنما تكبره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفتة، والحق منه، والحق إليه، وحينما عرف النبي صلى الله عليه وسلم الكبر فقال إنه:

((الكَبِيرُ بَطْرُ الْحَقَّ - أَيْ جَدُّ الْحَقِّ - وَعَمْطُ النَّاسِ))

[رواية مسلم عن ابن مسعود]

أي احتقارهم وازدراؤهم، وعرف التواضع بقاعدة "مفهوم المخالفة" ، أي إنه الخضوع للحق، وإنصاف الناس لهذا قيل: من عرف نفسه عرف ربه، ومن لم يعرف نفسه فهو مغرور، ومن نظر بعين المعرفة إلى سلطان الله، فني عنه سلطان نفسه، ومن نظر إلى عظمة ربه صغرت عنده نفسه، وقهرت تحت جلال هيبته.

المؤمنون قوم فرغ الله قلوبهم من الكبر، وجعل رحيم محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم، وجعل رضاه وقربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم، فهم من خشيتهم مشفقوهم، ومن هببته مطرقوهم، إن تواضعوا فلرفعته، وإن تذلّلوا فلعزته، وإن طمعوا في فضله، وإن خضعوا لفلاعنته، إلى الله افتقارهم وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم، هو كنزهم، وعزهم، وفخرهم، وذرهم، ومعيوبهم،

و مقصودهم.

وقل للواقفين بغير باب الله : يا طول هوانكم، وقل للعاملين لغير الله : يا عظيم خسرانكم، وقل للألمين لغير فضل الله: يا خيبة آمالكم، وقل للساعين لغير وجه الله : يا ضيعة أعمالكم .
هذه بعض المنطلقات النظرية، لخلق التواضع، ولكن أين هي التطبيقات العملية ؟

التطبيقات العملية لخلق التواضع:

1 - الإسلام يرفض الفصل بين النظري والتطبيقي:

إن هذا الانفصال بين المُثُل النظرية، والواقع العملي، بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن، يرفضه الإسلام أشد الرفض، لقد رفع الإسلام الواقع إلى مستوى المثل، وشد المثل لتكون واقعية، فصار ما في الإسلام يسمى بالواقعية المثالية، أو المُثُل الواقعية.
إليكم أنموذجاً واقعياً من خلق التواضع عند النبي صلى الله عليه وسلم:

2 - النبي عليه الصلاة والسلام المثال التطبيقي للتواضع:

لقد كان صلى الله عليه وسلم جمًّا للتواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف بكله إلى محدثه، صغيراً كان أو كبيراً، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا جلس جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يُرَ ماداً رجليه فقط، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته، أو حاجة صاحب أو جار، فكان يذهب إلى السوق، ويحمل حاجته بيده ويقول : أنا أولى بحملها، وكان يحب دعوة الحر والعبد والمسكين، ويقبل عذر المعذر، وكان يرف و ثوبه، ويخصف نعله، ويكتس داره، ويخدم نفسه، ويعقل بيته، وكان في مهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضى حاجة الضعيف والبائس، وكان يمشي هوناً خافض الطرف، متواصل الأحزان، دائم الفكر، لا ينطق من غير حاجة، طويل السكوت، إذا تكلم تكلم بجموع الكلم، وكان دمثاً ليس بالجاد، ولا المهين، يعظم الْعِمَّ، وإن دفَّتْ، ولا يدْنُّ منها شيئاً، ولا يدْنُّ مذاقاً، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان منها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، كان يؤلف ولا يُفرق، ويُقرَّب ولا يُنَقَّر، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، يتقدّم أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، يُحسِّن الحسن ويصوّبه، ويُبَقِّح القبيح ويُوَهِّنه، لا يُقصِّر عن حق، ولا يجاوزه ولا يحسب جليسه أن

أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو ما يسّره من القول، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخباً، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مزاح، يتغافل عمما لا يشتهي، ولا يُخيب فيه مؤمله، وكان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه أصحابه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر على الغريب وجفوته، في مسألته ومنطقه، لا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يجوزه ... والحديث عن شأنه لا تسع له المجلدات، ولا خطب في سنوات، ولكن الله جل في علاه، لحصتها في كلمات فقال:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

نماذج من تواضع النبي عليه الصلاة والسلام:

فمن عنايته بأصحابه، وتواضعه لهم:

نموذج أول:

ما رواه الحاكم بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيته، فدخل عليه أصحابه حتى غصَّ المجلس بأهله وأمتلأ، فجاء جرير البجلي، فلم يجد مكاناً فقعد على الباب، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه، وألقاه إليه، فأخذه جرير، ووضعه على وجهه، وجعل يقبله، وي بكى، وأعاده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً، وقال:

((إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَلَا كُرْمُوهُ))

[أخرجه ابن ماجه من غير ذكر القصة]

نموذج ثان:

وعن عدي بن حاتم أنه قال: لما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ألقى إلي وسادة من أدم محسنة ليفاً، وقال: اجلس عليها، فقلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: بل أنت، فقال عدي: فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، فقلت: أشهد أنك لا تبغى علواً في الأرض ولا فساداً .. وأسلم عدي بن حاتم.

نموذج ثالث:

وروى البيهقي في الدلائل أنه وفداً وفداً النجاشي على النبي صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه، فقال أصحابه: نحن نكفيك القيام بضيافهم وإكرامهم ، فقال صلى الله عليه وسلم إنهم كانوا لأصحابن ا مُكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم.

نموذج رابع:

وكان صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة (الطفولة الصغيرة) تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت، لقد كان هين المؤنة لين الخلق، كريم الطبع جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف رقيق القلب، رحيمًا بكل مسلم خافض ال جناح للمؤمنين، وللين الجانب لهم.

نموذج خامس:

وفي مختصر السيرة للطبرى أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة ذبحة، قال رجل: علي سلخها، وقال آخر: علي ذبحها، وقال صلى الله عليه وسلم " وعلى جمع الحطب " فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك العمل، قال: ((قد علمت ذلك، ولكنني أكره أن أتميز عليكم، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه))

[كشف الخفاء، وقال في السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أعرفه]

ما من موقف ينزلق فيه صاحبه إلى الكبر، والاستعلاء، والغطرسة، والعنجهية، لأن يفتح مدينة مستعصية ناصبته العداء أمداً طويلاً.

نموذج سادس:

لقد دخل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً متواضعاً لله، ذاكراً لفضله، حتى أن ذؤابة عمامةه كانت تلامس عنق بيته من شدة تواضعه وشكراً، هذا هو تواضعه صلى الله عليه وسلم

الخطبة الثانية:

تقسيم غنائم حنين:

1 - النبي عليه الصلاة والسلام يخص المؤلفة قلوبهم بالغائم:

حين انتهى المسلمين من غزوة حنين راح النبي صلى الله عليه وسلم يوزع غنائمها على المسلمين، واهتم يومئذ اهتماماً خاصاً بالمؤلفة قلوبهم، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يساعدهم على أنفسهم بهذا العطاء، كما أعطى ذوي الحاجة من المقاتلين، أما أولو الإسلام المكين فقد وكلهم إلى إسلامهم، ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئاً، وكان مجرد عطاء الرسول صلى الله عليه وسلم شرفاً عظيماً يحرص عليه جميع المؤمنين.

2 - الأنصار وجدوا في أنفسهم من قسمة الغائم:

تساءل الأنصار في مرارة: لَمْ يُعْطِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَظَّهُمْ مِنَ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ؟ وسمع زعيم الأنصار قومه يتهمون بهذا الأمر، فلم يرضه هذا الموقف، واستجاب لطبيعته الواضحة الصريحة، وذهب من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك - أي متأملون منك - في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأين أنت من ذلك يا سعد؟ فأجابه سعد: ما أنا إلا من قومي.. أي أنا مثلهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إذاً اجمع لي قومك.

3 - النبي عليه الصلاة والسلام ي maka غضب نفسه:

و قبل أن نتابع أحداث القصة، لا بد من أن نذكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه هذا النقد، أو ذلك التساؤل، وحينما شعر بهذا الغضب، أو ذلك الحزن من الأنصار، كان يتمتع بأعلى درجات القوة والسيطرة، لقد فتح الله على يديه مكة، التي ناصبته العداء عشرين عاماً، وانتصر في آخر موقف قتالي، وهي غزوة حنين، ودانت له الجزيرة العربية بأكملها، لقد كان من الممكن أن يلغى وجود هؤلاء المنتقدين، وكان من الممكن أن يهدر كرامتهم، ويصفهم بأنهم منافقون، وكان من الممكن أن يهملهم،

وفلا يلتفت إلى نقدم وتساؤلهم، وكان من الممكن أن يعاتبهم على موقفهم منه، وهو النبي المرسل والقائد المنتصر.. أتدرون ماذا قال لهؤلاء المنتقدن يوم جمعهم؟.

4 - كيف تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع اعتراض الأنصار:

لقد ذكر لهم بفضلهم عليه، وتصديقهم له وذكرهم بآياتهم له ومواساتهم

أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال:

((لما أُعطى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قَرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيْثُ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْوَالِهَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيْثُ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْعَوْدِ الَّذِي أَصْبَتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيْثُ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَإِنْ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي... قَالَ: فَاجْمِعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكُوهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَاهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُمْ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ هَذَا الْحَيْثُ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَشْتَى عَلَيْهِ بِالذِّي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَهُ بِلَغْتِي عَنْكُمْ؟ وَجَدْهُ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنفُسِكُمْ، أَلَمْ أَتُكُمْ ضُلُّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَهُ فَاغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءُ فَآلِفَ اللَّهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا تُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لِقَاتِمْ فَاصْدَقُمْ وَصُدِّقُمْ، أَتَيْتُمْ مُكْتَبَهُ فَصَدَقَتْكُمْ، وَمَخْدُولًا فَنَصَرْتُكُمْ، وَطَرِيدًا فَأَوْيَتُكُمْ، وَعَانِيًّا فَأَعْيَتُكُمْ أَوْجَدْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لَعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَالَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكْلَتُمْ إِلَيْ إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَدْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعْيرِ، وَتَرْجُعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضُلُوا لِحَاظَمْ، وَقَالُوا: رَضِيَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا، وَحَظَا، ثُمَّ اتَّصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقَا))

5 - قصة غنام حنين جمعت أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام كلها:

لو أردنا أن نؤلف كتاباً عن شم إله صلى الله عليه وسلم فأين نضع هذه القصة؟ أنضعها في باب تواضعه تواضع القوي، وتواضع المنتصر، وتواضع الحكيم، أم نضعها في باب عفوه وهو في أعلى درجات القوة، أم نضعها في باب وفائه الشديد للذين أبعده، ونصره في ساعة العسرة، أم نضعها في باب حنكته السياسية، وكيف أنه امتص هذه النسمة، وأطافأ تلك الفتنة بكلمات صادقات، أم نضعها في باب قيادته الحكيمية التي تجعل من العدو صديقاً، ومن البعيد قريباً، ومن البغيض حبيباً؟

كان الله في عون كتاب السير، كم يواجهون من صعوبات في تصنيف أفعال النبي عليه صلوات الله وسلامه وموافقه.

يا سيد يا رسول الله، يا سيد المتواضعين، حقاً إنك سيد ولد آدم، بلغت أعلى درجات الكمال البشري، واختارك الله على علم لتكون أسوة حسنة وقدوة صالحة، ومثلاً أعلى للمؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، ورحم الله حسان بن ثابت анصاري إذ يقول:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خليت ميراً من كل عيبٍ كأنك قد خللت كما تشاء

والحمد لله رب العالمين